شمشون

الى شهداء العودة ...

★ ..... ★

الليل والقدر العجوز وقهقهات الشامتين
الليل .. لا يدري
والشوك ، واللبلاب .. لا يدري
وبنات اوى في رحاب كرومنا
بشمت .. ولم تدر !
وغدا كأني بالدم الموار في صلبي
وبكبرياء الله في شعبي
تنهال طوفانا من النار
وتعود تلك الدار عامرة
بالغار ، بالليمون ، بالحب
ونعود احرارا الى الدار
فالرمل صاد ، موجع الاحشاء ، للثار
والشمس تكتم بسمة نشوى بأفراح
الغد الزهر
وهناك .. خلف الصحو ، في افق
الدموع
خلف ابتسامات الاسى الصفر
ووراء هذا الازرق المتبلد العاري
أفكارنا تحبو .. فتلتهب السماء
بحقدنا الضاري
وتكاد تنفجر الحروف بألف اعصار
واعصار
مهلا .. سينحسر العجاج ويصخب
الاطفال بالسر !
الريح في الوادي تولول ، والعنادل
حطت — وأين الظل ؟! — تشكو
للردى مأساتها :
« الفجر كان لنا .. وميعاد
النسيمات الصديقه
كانت لنا تلك الحديقه :
يافا .. وأشرعة يضاحكها المدى
فتئن ذاهلة كأن وراء أنتها الغدا
خضراء او بيضاء او حمراء خافقة السنا
كانت لنا ..
كانت لنا ..
كانت بما فيها ، وكان لنا
في ظلها النديان أجنحة طليقه
تشدو فيصحو برعم غنج حريري الغلائل
وتفوح زنبقة رقيقه
ويبيت عملاق الذرى في كل عرس ،
كل محنه
سهران يرعانا بلا أجر ، بلا منه
فتسيل في أندى حناجرنا محبته
العميقه

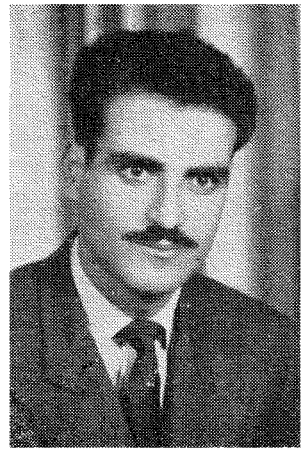

وبصدره يتشوف النسر الاغر الى
كوى الجنه

. . .

كانت ، أجل كانت .. وما زالت
ولكن آه .. من يقوى على ذكر الحقيقه ؟!»

★

المعبد الهمجي : كهان ، قرابين ذليله
غزو يهوذي وحاشية بلا عدد وغانية
لعوب
وثنية النهدين والعينين والخطوات ،
صهباء الجديله
شهق المصلون السكارى باسمها
فتنهد المحراب وانتفضت شرايين
الغيوب :
« أي ، أي .. دليله ! »
وفتى خرافي السمات يلوكهم بلحاظه
ويدور محرور الضفينة وهو يرزح
بالسلاسل :
« لو لم يكن سري لديها
لو لم أنم والباب ، مد الليل ، مفتوح لها
لو لم أثق بأبوة التجار تدفعني ،
بلا ثمن ، اليها
لم يهو راعي القمة الشماء فرخا
في يديها ! »

. . .

وتفتقت شفتاه في ريب
وتراقصت أرجوحة القلب :
« شعري يعود الى مداه الاول
هبني رضاك وعونك الابوي يا ربي
وضمودك العربي يا شعبي
كي تنجلي
هذي الغيوم السود عن مستقبلي »
وتلفت الاوغاد في رعب :
« شم .. شو .. ن ! »
اين المفر ؟ وكيف ؟ غلق كل باب
وخبت على يده المجامر ، يا لقطعان
الذئاب
من نقمة الراعي ومن هول الحساب
« خذهم بما اقترفوه من ذنب
أعداؤنا عطشى فصب لهم
حمما من السحب
وعليهمو .. وعلي يا ربي ! »

★

الريح في الابواب ، في الساحات ،
عبر الاوديه
خيل تحمحم .. يا لها غرثى جريحه
ويهيجها ، سحرا ، دوي الانفجار
فتغير خاطفة سنابكها خصيلات
من الشهب
لكأن خولة في الطريق الى ضرار
لكأن سيف الله في الركب
القادسية تستفيق وتهدر اليرموك
في دربي
فالمعبد الجبار لا يقوى على ستر
الفضيحه .
تتر وخصيان وغانية كصل المعصيه
كل تلقى ، تحت نعليه ، ضريحه !

★

الريح تنضو ثوبها الدامي ، تحور
الى نسيم
خطرت ومعبدهم كمقبرة
تركت بلا عسس ، بلا سور
وركام طغيان عدائي لئيم
كوم من الآجر ، آلهة مشوهة
وألواح معفرة الرسوم
أعقاب أعمدة رخاميه
وسلاسل مرفضة الحلقات ، مرميه
وصدى أنين غائر في القاع ، مطمور

★

وتدب في الانقاض .. كالنبض
حمى مخاض يستفز كوامن الارض
وحفيف روح
— من سماء غير تلك القبة البلهاء —
منقض
شمشون ينفض عنه أكداس التراب
فنهب في فرح طفولي عنيف
نبكي ، نلفلف جرحه بشفاهنا
وبما تبقى من تجلدنا النزيف
فيعود أقوى ما يكون مجنحا
برؤى الشباب
ثمل الفخار بحبنا المتورد الغض
والطير تشدو حوله مزهوة
وترف تنثر من أغانيها العذاب
في لهفة الغرباء للاوطان ،
في ظمأ الاجنة للوجود
أسطورة من موطني سكرت بها
روح الخلود
أسطورة البطل الذي ضحى ..
ويبعث كالنبوءة من جديد !

دمشق — **علي كنعان**